

الحلقة (١٧)

وقفنا في المحاضرة الماضية عند قول الله عز وجل: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ الآية ٢٣٦ ووقفنا تحديداً عند إرادتنا ذكر القراءات الواردة لبعض الآيات.

❖ قول الله عز وجل: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾

﴿قرأ حمزة والكسائي ﴿تماسوهن﴾ - وقلنا لكم أكثر من مرة إنهما (الأخوان) في كتب القراءات أي حمزة والكسائي - توجيه القراءة: من المفاعلة طبعاً لأن الوطء تم بهما، يعني مفاعلة في الغالب يغلب عل هذا الفعل الاشتراك، وقرأ الباقون ﴿تمسوهن﴾ بفتح التاء من الثلاثي.

❖ قوله تعالى ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ﴾

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وشعبة ﴿على الموسع قَدْرُهُ وعلى المقتر قَدْرُهُ﴾ بسكون الدال في الموضعين، وقرأ الباقون بفتح الدال فيهما وهما لغتان قدره وقدره لغتان، وكما قلنا عن حمزة والكسائي أنهما يعرفان بالأخوين، فأيضاً هنا ابن كثير ونافع يعرفان بالحرميان، إذا قيل الحرميان في كتب القراءات فالمراد بهما ابن كثير ونافع.

❖ مناسبة الآية لما قبلها:

لما ذكر سبحانه وتعالى في الآية الأولى ما يتعلق بخطبة النساء المتوفى عنهن أزواجهن، أخبر هنا عن رفع الحرج عن المطلّق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أم لم يفرض، إذاً هذا وجه من وجوه المناسبة بين الآيتين.

❖ الأحكام المتعلقة بالآية:

﴿قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ﴾﴾: معناه لا طلب لجميع المهر، بل عليكم نصف المهر المفروض لمن فرض لها، والمتعة لمن لم يفرض لها، ولا نعني بالمتعة المتعة التي أبيحت ثم حرمت ثم أبيحت ثم حرمت ثم وقع الاتفاق على تحريمها، هذا له جانب آخر، والمسلمون قاطبة على هذا، إلا من شذ ومن شذ الدليل يصادمه بل يعارضه محتجين بقول الله عز وجل ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ...﴾ هذا يتعلق بالنكاح، أما المتعة فقد جاءت في الحديث وحرمت تحريماً أبدياً.

❖ قال بعض العلماء المطلقات أربع:

❖ الأولى: مطلقة مدخول بها مفروض لها وقد ذكر الله حكمها قبل هذه الآية، وأنه لا يسترد منها شيء من المهر، وأن عدتها ثلاثة قروء ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾.

← **الثانية:** مطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها فهذه الآية في شأنها، ولا مهر لها، بل أمر الرب تبارك وتعالى بإمتاعها، وبَيَّن في سورة الأحزاب أن غير المدخول بها إذا طلقت فلا عدة عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

← **الثالثة:** مطلقة مفروض لها غير مدخول بها ذكرها بعد هذه الآية إذ قال ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

← **الرابعة:** مطلقة مدخول بها غير مفروض لها ذكرها الله عز وجل في قوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَلَهُنَّ أَجُورُهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

إذاً كما ذكرنا آنفاً لا مستمسكاً ولا دليلاً ولا حجةً لمن شذ من المسلمين ممن قال أن المتعة في كتاب الله عز وجل، ونسبت هذه الطائفة التي شذت إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يريد بهذه الآية المتعة، ونسبوا أنه موجود في مصحفه وما ذلك بصحيح.

إذاً ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ يعني الذي يقولون عند ابن عباس فما استمتعتم به منهن (إلى أجل مسمى) هذه اللفظة قالوا إنها في مصحف ابن عباس رضي الله عنهما، وابن عباس رضي الله عنهما أجل من أن يخفى عليه أمر المتعة، إذاً لا مستمسك لأحد بهذا، بل هذا آت كما هو قول عند بعض العلماء: مطلقة مدخول بها غير مفروض لها ذكره الله عز وجل في قوله ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ...﴾ فذكر الله تعالى في هذه الآية والتي بعدها مطلقة قبل المسيس وقبل الفرض، يعني قبل أن تمس، ومطلقة قبل المسيس وبعد الفرض، فجعل للأولى المتعة، وجعل للثانية نصف الصداق لما لحق الزوجة من دحض العقد.

☉ قوله تعالى: ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا﴾

(ما) بمعنى الذي، أي إن طلقتم النساء اللائي لم تمسوهن، {أَوْ تَفْرِضُوا} (أو) قيل هي بمعنى الواو، وهذا وارد على ما يقوله بعض المفسرين في أكثر من آية كما في قول الله عز وجل ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةٍ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قالوا: {أَوْ} هنا تأتي بمعنى الواو، وللنحاة وقفات في هذا، والذي يظهر أنه لا ترادف في كتاب الله عز وجل، وهناك رسالة غير منتشرة لكنها دقيقة وجميلة وعظيمة القدر للحكيم الترمذي "منع الترادف" ذكر في هذه الرسالة على أن لا ترادف في كتاب الله عز وجل، وأيضاً على أن كل لفظة في الكتاب جاءت لشيء معين، فإذا {أَوْ} أحسب أنها باقية على بابها.

☉ قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾: أي أعطوهن شيئاً يكون متاعاً لهن هذه.

❖ ننتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ قَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الآية ٢٣٧

❖ مفردات الآية:

❖ قوله تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا قَرَضْتُمْ﴾: النصف هو الجزء من اثنين، فيقال: نَصَفَ الماء القدح أي بلغ نصفه، ونَصَفَ الإزار الساق وكل شيء بلغ نصف غيره فقد نصفه، والاستعمال الفصيح وهذا ما جاء في القرآن النصف تنطق بالإسكان، لكن أيضا بعض من العرب قد يحرك الصاد النَّصِف بالتحريك، هذا قد ورد عند بعض العرب.

❖ قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾: استثناء منقطع، لأن عفوهم عن النصف ليس من جنس أخذهم، ويعفون معناه يتركون ويصفحون، طبعاً هذه الواو هي ليست واو الجمع، ووزنه يفعلُن، والمعنى إلا أن يتركن النصف الذي وجب لهن عند الزوج، ولم تسقط النون مع (أن) لأن جمع المؤنث في المضارع على حالة واحدة في الرفع والنصب والحزم، فهي ضمير -أي النون- وليست بعلامة إعراب فلذلك لم تسقط، ولأنه لو سقطت النون لاشتبه بالمدكر (المسلمون المؤمنون).

❖ العافيات في هذه الآية كل امرأة تملك أمر نفسها، فأذن الله لهن في إسقاطه بعد وجوبه، إذ جعله خالص حقهن، فيتصرفن فيه بالإمضاء والإسقاط كيف شئن إذا ملكن أمر أنفسهن وكن بالغات عاقلات راشدات، فالله عز وجل أذن لهن لأن هذا حقهن.

❖ قوله تعالى: ﴿عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾: أي عقدة نكاحه هو الزوج.

❖ الإعراب:

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾: هذا مبتدأ وخبر.

نأتي إلى آية أخرى بعد أن تم الكلام على (شؤون الأسرة) نخرج الآن شيئاً فشيئاً عن آيات (الأسرة) نختم بهذه الأحكام هذا الحديث عن تلك الأحكام التي مضت.

والآية التي معنا هي تخص الأسرة فرداً فرداً يطبقونها ومأمورين بها، بل المسلم لا يجوز له ولا يسوغ له عن أن يترك هذه الفريضة، ونعني بهذه الفريضة الصلاة، وخص الشارع بين الصلوات صلاة بعينها.

❖ قوله عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ

فَرَجَالًا أَوْ زُرُبَاءًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

إذاً لاحظوا أن هذه الآية هي لن تتخلف عن سابقاتها، لأن أفراد الأسرة لابد أن يقيموا هذه الفريضة، والتذليل هنا بعد المشاكل التي يتصور وقوعها لاسيما هذه العصور الأخيرة، الناس الآن في

أغلب أحوالهم لا يتحملون لا في داخل البيت ولا خارج البيت، وكنت أقول: إن الحلم هو الذي يجب أن يشاع هذه الأيام، وقد قال أبو العلا المعري قال:

وإن كنتُ إلى الحلم محتاجاً فإني **** في بعض الأحيان للجهل أحوج

يجب ألا يكون هذا هو الأصل، الأصل أن نكون حلماء، وأما أن يثور الإنسان لأتفه الأسباب وعلى شيء لو تمنع قليلاً وتصبر لما حصل شيء، ولذلك نسأل الله لنا السلامة والعافية لنا وللمسلمين كثرت الأمراض وشاعت الأسقام واتسع الحرق على الراقع... الخ يصبح الرجل صحيحاً ويمسي سقيماً أو يمسي سقيماً ويصبح يزداد سقماً كل ذلك لأن بعض الناس يثور لأتفه الأسباب.

❶ فالصلاة لم تأت في البداية جاءت في النهاية عقب المشاكل، فكأن السر والله أعلم كما يفهم من كلام الرازي: (أراد الله عز وجل أن يبين أن الداء موجود، ولكن الدواء في الصلاة، والرسول ﷺ

أرشدنا بفعله العملي بسنته الفعلية، وكما تعلمون أن الفعلية أقوى من القولية: (أرحنا بها يا بلال) فتأتي مشكلة -وتلك الأيام ألا رعيًا وسقياً لتلك الأيام- ورسول الله ﷺ ما المشاكل الموجودة؟ أنه أراد ﷺ وهو المرسل رحمة للإنس والجن، بل رحمة للعالمين، أراد أن يرشدنا على أن المشاكل حلها في الصلاة،

وفي قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لعل سائلاً يسأل يقول: يا الله أين أجد هذا النور؟ قال ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ إذاً النور مصدره المسجد، وتأخير الصلاة سبب في المشاكل، لا بأس

بالعلاج عند الطبيب النفسي إذا كان حقيقياً وجديراً بهذا وكان له صلة بالله سبحانه وتعالى وهذا لا يصادم الصلاة، فيجب على الإنسان أن يلجأ إلى الله عز وجل دفعاً للمشاكل، والمشاكل موجودة فجعل الصلاة في آخر آيات (شؤون الأسرة).

❷ جعل الصلاة في آخر آيات (شؤون الأسرة) دليل على أن الصلاة هي المفزع بعد الله عز وجل وهي زاد الروح، بعض الناس يقول والله أنا أصلي ولا زال لدي مشاكل، نقول له صل لا على طريق التجربة، صل على طريقة اليقين، صلي في أي مسجد شئت وانظر إلى من تستلذ قراءته، فإذا خشعت في صلاتك تيقن أنك تنسى هذه الدنيا وتنسى المشاكل التي في البيت، وقلنا أن الزوج إذا حدث بينه وبين زوجته سوء تفاهم عليه أن يترك البيت ويغادر، وبعد ذلك يدخل مسجد ووجد إماماً يحبر القراءة تحبيراً، سينسى كل شيء ويتعلق بالآخرة.

الوليد الذي كان كافراً القرآن أخذ بلبه وقال: والله هذا ليس بقول بشر، لأن فيه سر لا يعرفه أحد ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

